المحاضرة الرابعة عشر

الجناس والسجع

الجناس محسن بديعي لفظي، يعرّفه ابن المعتز بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها »[1]، ولهذا التشابه في الحروف صور عديدة ذكرها علماء البديع، إلا أن هذا التشابه لا يحسن في كل موضع، بل له أحوال يُستحسن فيها، وأخرى يستقبح فيها، والعمدة في ذلك هي السجية والطبع، فما كان متكلّفا فيه نبا وقبح، وما لم يدخله تكلّفٌ حسن وملح.

ينقسم الجناس إلى تامّ وغير تامّ، فأما التام فهو ما اتفق فيه اللفظان من حيث نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها، مع الاختلاف في المعنى [2]، وهو ثلاثة أنواع[3]: الأول الجناس المماثل وهو ما تماثل لفظاه في نوع الكلمة اسما كان أو فعلا أو حرفا، مثل قول المعرّي
تقول أنت امرؤ جاف مغالطة / فقلت: لا هوّمت أجفان أجفانا ، فأجفان الأولى جمع جفن، وأجفانا "الثانية" من أفعل التفضيل: أجفى، وكلاهما اسم.
ومثل قول أبي محمد الخازن: قوم لو انهمو ارتاضوا لما قرضوا/ أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا، فـ"شعروا" الأولى من الشعور، والثانية من قرض الشعر، وكلاهما فعل.
ومثل قولنا: (مِن الناس مَن يعمل مِن شروق الشمس إلى غروبها) ، فـ مِن الأولى تفيد التبعيض، ومِن الثانية تفيد ابتداء الوقت، وهما حرفان.
والثاني من أنواع الجناس التام هو المستوفى، وهو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين للكلمة، كأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، ومثاله من قول أبي تمام : ما مات من كرم الزمان فإنه/ يحيا لدى يحيى بن عبد الله، فـ (يحيا) الأولى فعل، والثانية اسم.
والثالث من أنواع الجناس التام هو جناس التركيب، وهو أن يتركب أحد اللفظين المتجانسيْن من كلمتيْن: فإما أن يتشابه المتجانسان خطا ولفظا، ويُسمّى المتشابه، مثل قول الشاعر :
إذا لم يكن ملكٌ ذا هبهْ / فدعه فدولته ذاهبهْ ، وإما أن يتشابها في اللفظ دون الخطّ، ويُسمّى المفروق، مثل قول الشاعر : سل سبيلا إلى النجاة ودع دمـــ / ـــع عيوني يجري لهم سلسبيلا، وإما أن تكون فيه الكلمة المركبةُ مركّبةً من كلمة وجزء من كلمة أخرى، ويُسمّى المرفوّ، مثل قول الشاعر: والمكر مهما اسطعت لا تأته/ لتقتني السؤدد والمكرمه، فالجناس المرفوّ هنا بين (المكرمه) في آخر البيت وبين (المكر + مَهْ) في أوله.
وأما الجناس غير التامّ فهو «ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام، وهي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها»[4].

---

[1] ابن المعتز، كتاب البديع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2012م، ص36.
[2] يُنظر: جواهر البلاغة، ص326.
[3] يُنظر: علم البديع، ص197 وما بعدها.
[4] المرجع نفسه، ص250.

فمن أمثلة ما اختلف في نوع الحروف قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (الخيل معقود في نواصيها الخير)، باختلاف الحرف الأخير من الخيل والخير، وأما ما اختلف لفظاه من حيث عدد الحروف، فيُسمى جناسا ناقصا، «واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول نحو دوام الحال من المحال أو في الوسط نحو: جَدّي جَهْدي، أو في الآخِر نحو: الهوى مطية الهوان، والأول يُسمى "مردوفا" والثاني يسمى "مكتنفا" والثالث يسمى "مطرّفا"»[1].

وأما **السجع** فهو « توافق الفاصلتين في الحرف الأخير »[2]، وهو إلى جانب ذلك حسنٌ يقع في الكلمات المسجوعة وفي تركيبها، ومن ذلك الحسن أن تكون الكلمات على وزنٍ واحد.

ومن أمثلته قوله تعالى: (والعاديات ضبحا+ فالموريات قدحا+ فالمغيرات صبحا) [العاديات من 01 إلى 03]، مع التحفّظ على تسميته سجعا في القرآن الكريم، والخلافُ في ذلك معروف.

وكذلك من أمثلته قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

وللسجع أقسام هي[3]:

أولها المطرّف، وهو ما اختلفت فيه الفواصل وزنا، واتفقت رويّا، ومثاله قوله سبحانه: (ألم نجعل الأرض مهادا + والجبال أوتادا)[النبأ 06 07]، فـ "مهادا" و"أوتادا" يختلفان في الوزن وينتهيان بحرف واحد.

وثانيها المرصّع، وهو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتيْن في الوزن والحرف الأخير من كل لفظة، مثاله قول الحريري في المقامات: "يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه".

وثالثها المتوازي، وهو ما كان الاتفاق فيه في اللفظتين الأخيرتين فقط، ومثاله قوله تعالى:

﴿والمرسلات عرفا + فالعاصفات عصفا﴾[المرسلات 01 02].

ومن أحسن السجع أيضا ما تساوت فيه أجزاء فقره من حيث عدد الكلمات، نحو قوله تعالى:(في سدر مخضود+ وطلح منضود+ وظل ممدود)[الواقعة من 28 إلى 30].

تطبيق:

ـ عرّف الجناس واذكر أنواعه

ـ عرّف السجع واذكر أنواعه

ـ ما الأثر البلاغي الذي يحدثه كل منهما في الكلام؟

---

[1] جواهر البلاغة، ص326.
[2] المرجع نفسه، ص330.
[3] المرجع نفسه، ص331.